التسلم Received	التعديل Revised	القبول Accepted	المعرّف الرقمي DOI
2025/7/17	2026/3/2	2026/4/1	https://doi.org/10.31430/XLOE7489

منارة الطيب | Manara Altayeb*
يسرا عبد الله | Yusra Abdaullah**

تحديات العمل التطوعي في أتون الحرب في السودان: غرف الطوارئ نموذجًا

Challenges of Volunteer Work in Sudan Amid War: Emergency Response Rooms as a Case Study

تناقش هذه الدراسة تجربة غرف الطوارئ في السودان بوصفها نموذجًا للاستجابة الإنسانية المجتمعية في النزاع الدائر منذ 15 نيسان/ أبريل 2023، مع التركيز على تحديات العمل الإنساني التطوعي. وتسلّط الضوء على الفاعلين المحلّيين وقدراتهم على الاستجابة السريعة في تطوير طرائق مبتكرة من العمل الإنساني القائم على المجتمع. وتهدف إلى توضيح دور غرف الطوارئ باعتبارها آلية طوعية حديثة النشأة في مواجهة آثار النزاع، والكيفية التي تمكّنت بها من مواصلة العمل، على الرغم من التحديات التي تواجهها، وإلى أي مدى يمكن أن تحقق هذه الغرف نموذج الشريك المحلي للاستجابة الإنسانية، وذلك مقارنةً بمثيلاتها من النماذج في السياق الدولي. وتخلص إلى أن تجربة غرف الطوارئ تعكس أهمية توطين العمل الإنساني بوصفه توجّهًا لتعزيز الاستجابة الإنسانية السريعة في بيئات النزاع المعقّد.

كلمات مفتاحية: النزاع، العمل التطوعي، التكايا، غرف الطوارئ، السودان، العمل الإنساني.

This article discusses the experience of the Emergency Response Rooms in Sudan during the ongoing conflict since 15 April 2023, focusing on the challenges of voluntary humanitarian work and highlighting the role of local actors and their capacity to respond rapidly through developing innovative, community-based methods. The study aims to clarify their role as a voluntary mechanism in addressing the impacts of conflict, and assesses their ability to continue despite these challenges, as well as the extent to which the Emergency Response Rooms can serve as a model for a local humanitarian partner by comparing it with similar initiatives in the international context. In conclusion, Emergency Response Rooms reflect the importance of the localization of humanitarian work in enhancing rapid response in complex conflict settings.

Keywords: Conflict, Voluntary Work, Takaya, Emergency Response Rooms, Sudan, Humanitarian Work.

* باحثة في دراسات الهجرة واللجوء وقضايا المرأة.
Researcher specializing in migration and refugee studies, with a focus on gender issues.
Email: manarahassan88@gmail.com

** باحثة في دراسات النزاع وعضو في منظمة أسير للتوعية بمخاطر الهجرة غير النظامية والاتجار بالبشر.
A researcher in conflict studies and a member of Aseer Organization.
Email: yusra.alsir@outlook.com

مقدمة

يُعدّ السودان من بين الدول التي عانت، ولمّا تزل، ويلات الحروب، فضلًا عن الكوارث الطبيعية، ما يهدّد أمن الإنسان وسلامته، ويؤثر في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. ومع استفحال الأزمات، برزت جهود حثيثة لدرء آثارها واحتوائها والحدّ من تداعياتها على العباد والبلاد، الأمر الذي ساهم في تشكّل بيئة خصبة للعمل الطوعي الذي تعود آلياته إلى الموروث الثقافي والاجتماعي المتجذّر في المجتمع السوداني؛ فنجد في اللهجة السودانية الدارجة ألفاظًا مثل "النفير"، بمعنى العمل الذي يشترك في إنجازه الجميع، و"الفَزعة"، بمعنى إغاثة المستغيث ونصرتـه، ما يشير إلى معاني التكافل والمشاركة والاستجابة[1]، والتعبئة الجماعية من أجل تلبية حاجة مشتركة، أو الاستجابة لأزمة ما. وممارسة النفير والفزعة تقليد له جذور تاريخية عميقة في المجتمع السوداني[2]، يضطلع بها أفراد المنطقة القادرون على إغاثة المستغيثين في القبائل والعوائل الممتدة، التي يمثل العمل الطوعي فيها قيمة إنسانية في المقام الأول، وهي أولى خطوات الدعم المجتمعي، كما تمثّل شبكة أمان ثابتة للأسرة والمجتمع كله[3].

مع تفاقم الأزمات والكوارث في السودان، تزايدت الحاجة إلى تنسيق العمل الطوعي وتقديم المساعدات الإنسانية وتأطيرهما ضمن أطر مؤسسية وقانونية، بما يعزّز القدرة المجتمعية على مجابهة النمو في معدلات الكوارث بصورة أكثر فعالية[4]؛ فتشكّلت هيئات رسمية للعمل الطوعي في ستينيات القرن العشرين، وأُنشئت مفوضية العون الإنساني لتكون الجهة المسؤولة عن رفع درجة الوعي بالعمل الطوعي والإنساني، والتدريب على إدارة الكوارث، والتنسيق مع الفاعلين الخارجيين وتسهيل وصولهم إلى المتضررين، ومتابعة برامج العمل الطوعي والإنساني في السودان وتقييمها[5].

مع بداية حرب نيسان/ أبريل 2023، في السودان، تفاقمت أكبر أزمة "تجويع ومجاعة" في التاريخ الحديث[6]، وأكبر أزمة نزوح في أفريقيا والعالم[7]. وتتمثل خطورة هذه الأزمة في أنها لا تقتصر على ولاية بعينها، بل تشمل السودان برمّته، حيث أشارت تقارير، في نهاية عام 2024، إلى أن 755 ألف شخص يعانون مستويات جوع كارثية[8]، وأن نحو 25 مليون شخص يعانون أوضاعًا إنسانية حرجة، ونزح 11.1 مليون شخص داخليًا، أي ما يعادل واحدًا من كل خمسة أشخاص مقيمين في السودان، و70 في المئة على الأقل من نظام الرعاية الصحية مدمّر، أو غير فعال مع انتشار الأمراض الوبائية. وفي مواجهة ذلك، لم يجرِ تفعيل سوى 18 في المئة من الدعم الإنساني الدولي، من أصل 2.7 مليار دولار أميركي، بهدف الوصول إلى 14.7 مليون شخص فقط. وهو أقل بكثير من معدّل الاحتياج العام[9]. ويفاقم من خطورة الوضع الإنساني الخلل في خدمات الرعاية الصحية وتلوّث المياه وتدهور حالة قنوات الصرف الصحي. وتواجه المنظمات الإنسانية تحديات واسعة في الاستجابة لهذه الأزمة الإنسانية غير المسبوقة بسبب انعدام الأمن؛ إذ أشارت دراسات أخرى إلى تحديات جمة تجابه العمل الطوعي في السودان، أبرزها ضعف التنسيق بين المنظمات الوطنية والأجنبية ومحدودية تبادل المعلومات، ما يؤخر استجابة المنظمات الداعمة لتلبية حاجات المجموعات السكانية المتأثرة[10].

وهكذا، أدت الحرب المعقدة والكوارث الإنسانية التي خلّفتها إلى تشكيل بيئة إنسانية شديدة التحدي، تتسم بانعدام الأمن وضعف الوصول الإنساني وهشاشة الهياكل المحلية، بل تفككها وانهيارها. وأشارت دراسات كثيرة إلى أن المنظمات الدولية أدركت، في ضوء هذه التعقيدات، أهمية وضرورة وجود شركاء محليين متمكنين وقادرين على تنفيذ العمل الإنساني بفعالية؛ إذ تُبرِز مثل هذه البيئات الصراعية، التي لا تتقيّد فيها الأطراف المتصارعة بقوانين القانون الدولي وحقوق الإنسان، أهمية الاستجابة المبكرة في الكوارث

---

1 ينظر: عون الشريف قاسم، **قاموس اللهجة العامية في السودان**، ط 2 (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1985)، شوهد في 2026/4/13، في: https://acr.ps/hBy2t5G

2 مازن عبد الله، "دور 'النفير' والشبكات الاجتماعية في الاستجابة الإنسانية: والتحديات أمام منظومة العون الإنساني الدولية في السودان"، **وحدة حساسية النزاعات**، 2025/9/1، شوهد في 2026/3/22، في: https://tinyurl.com/yt74z5wf

3 خالد عبد الرحمن محمد الحاج، "العمل الطوعي في السودان: المفاهيم والممارسات"، **الدراسات الأفريقية وحوض النيل**، مج 1، العدد 1 (آذار/ مارس 2018)، ص 362، شوهد في 2026/4/13، في: https://acr.ps/hBy2swe

4 Issam A. W. Mohamed, "Assessment of the foreign Non-Government Organizations' Role in Sudan," Munich Personal RePEc Archive (MPRA), Paper no. 32296, 22 July 2011, accessed on 6/11/2024, at: https://tinyurl.com/32te9a58

5 جمهورية السودان، وزارة الضمان والتنمية الاجتماعية، "قانون تنظيم العمل الطوعي الإنساني لسنة 2006".

6 "خبراء أمميون: أكبر مجاعة بالعصر الحديث تتجسّد في السودان"، **إندبندنت عربية**، 2024/10/18، شوهد في 2026/4/13، في: https://tinyurl.com/3jdsjreu

7 "الأزمة السودانية ... أكبر حالة لجوء ونزوح تؤرق القرن الأفريقي وشمال أفريقيا والعالم"، **وكالة الأنباء القطرية**، 2024/2/1، شوهد في 2026/4/13، في: https://tinyurl.com/yt9wja2k

8 "Sudan Humanitarian Update (1-30 November 2024)," United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA), 4/11/2024, accessed on 26/11/2024, at: https://tinyurl.com/y8stuh4u

9 Sharmila Devi, "Aid Workers Warn over Sudan Crisis: Time is of the Essence," The *Lancet*, *World Report*, vol. 404, no. 10449 (20 July 2024), pp. 231-232.

10 عمر حياتي، "دور آليات التطوّع في إدارة الكوارث في السودان"، **دراسات أفريقية**، العدد 38 (كانون الأول/ ديسمبر 2007)، ص 307.

والطوارئ الإنسانية المعقدة؛ لذلك، يجري تأكيد التوطين بوصفه مبادرة إصلاحية، بسبب تزايد أهمية المستجيبين المبكرين وقدراتهم ودورهم في ضمان استجابة إنسانية سريعة وفعالة[11].

يمكن وصف الحرب في السودان واستجابة غرف الطوارئ لتداعياتها وتعاملها مع الأزمات الإنسانية الناتجة منها، وفقًا للأدبيات، بأنها إحدى حالات الطوارئ الأشد تعقّدًا، التي تقترن بطغيان العنف الذي لا يؤدي إلى خسائر في الأرواح فحسب، بل إلى حالات نزوح جماعي للسكان أيضًا، إضافة إلى أضرار واسعة في البنى التحتية، خصوصًا الاقتصادية منها. وكلما طال أمد حالات الطوارئ المعقدة، أصبحت الأوضاع الإنسانية أشدّ تعقيدًا[12]، حيث يصبح السكان غير قادرين على تلبية حاجاتهم الإنسانية، من غذاء ومأوى، ويواجهون معضلة الجوع بسبب غياب سبل تحصيل الرزق، فضلًا عن صعوبة وصول المساعدات الإنسانية إليهم، كما أن انهيار الأنظمة الصحية يجعل المدنيين في مواجهة أزمات صحية تشمل تفشّي الأوبئة، مع ندرة شديدة في الأدوية والخدمات الصحية عامةً، خصوصًا في واقع ظروف الحياة السيّئة التي تمليها مخيمات الإيواء. وتؤدي هذه الظروف إلى تفاقم الحاجة إلى غرف الطوارئ لمواجهة الحاجات الإنسانية وتسريع الاستجابة لها.

أثبتت سياقات الحروب في اليمن والسودان وسورية وقطاع غزة، لوكالات المساعدات الدولية، الصعوبات التشغيلية واللوجستية والسياسية، وغيرها من أشكال الصعوبات التي تصاحب النزاعات المعقدة، والتي تؤثر في فعالية الاستجابة الإنسانية. وأبرزت التفاوت بين مواقف المنظمات الدولية والمحلية وتصوراتها المتصلة بأدوارها وقدراتها في العمل في هذا النوع من الحروب المستعصية، وبيّنت صعوبة الوصول إلى السكان المتضررين، وتعرّض العاملين فيها للمخاطر[13]، إضافة إلى تأثير السلطة والنفوذ وتغيّر مناطق السيطرة في وصول المساعدات، وعمل أطراف النزاع على تسييسها. فضلًا عن ذلك، بيّن النزاع في السودان والحروب الإسرائيلية المتكررة على قطاع غزة أن التوطين يمثل ضرورة ميدانية تفرضها الحرب، بفعل غياب البدائل[14] التي يمكن أن تتوافر في سياقات أقل تعقيدًا.

تؤكد الأدبيات أن أي كارثة إنسانية تتطلّب مشاركة أصحاب المصلحة في إدارة الإغاثة، فتبرز الحاجة إلى استكشاف مقاربة تعاونية ومبادرات مشتركة لإدارتها، بما يضمن التعاون بين مختلف الأطراف الرئيسة المعنية. وتبيّن هذه الأبحاث مجتمعةً تنوّعَ الفاعلين المشاركين وأدوارهم المختلفة. ويُعدّ المجتمع أحد أبرز الأطراف في إدارة الإغاثة؛ إذ يسرّع التعافي بعد الكارثة، بفضل المعرفة المحلّية التي يحوزها، مثل إنشاء ملاجئ مؤقتة من السكان، وقوائم دعم للفئات الضعيفة، كما حدث في تجربة إعصار كاترينا عام 2005 في الولايات المتحدة الأميركية، وتنظيم عمليات الإخلاء، كما حدث إبان إعصار هايان في فيتنام عام 2013؛ فالمجتمعات المحلية أقدر على تقييم الحاجات وتنظيم الاستجابة من أجل تلبيتها[15].

وفي السودان، لطالما أفادت الاستجابات المجتمعية السريعة العائلات والأفراد الأشد هشاشة. وغالبًا ما تشمل الاستجابة كثيرين من السكان في المناطق المحاصرة، الأمر الذي يبيّن أهمية المبادرات المجتمعية؛ إذ سبق أن قُدّمت المساعدات للسكان، وهم في أمسّ الحاجة إليها، وأثبتت أنها قناة فعالة لتلبية الحاجات الأشد إلحاحًا على نحو يراعي الأولويات. ومع مرور الوقت، تحوّلت هذه الاستجابة الفورية إلى استراتيجيات مستدامة طويلة الأمد. ويعزّز المجتمع الجهود المستمرة لتقديم الإعانات في الأزمات، وقد يكون المصدر الأهم للمساعدات التي تؤدي إلى إنقاذ حيوات المتضررين خلال الأزمات[16].

على سبيل المثال، ظهرت "التكايا" بوصفها إحدى آليات العمل الطوعي المتجددة في مجابهة كوارث المجاعات؛ وهي آلية من آليات الإغاثة الإنسانية التاريخية القديمة في السودان، منذ عهد دولة الفونج في القرن السادس عشر. والتكايا هي مطابخ خيرية أُنشئت ضمن الممارسات الصوفية التقليدية، وكانت تقدم الطعام والمأوى للفقراء والأيتام والمسافرين وطلاب العلم[17]، وارتبط ظهورها بالطرائق الصوفية "والمسيد"[18]. وقد اتّخذت نمطًا جديدًا خلال حرب نيسان/ أبريل 2023، وأصبح ينفّذها أفراد ومنظمات محلّية،

11 Ghassan Elkahlout et al., "Localisation of Humanitarian Action in War-torn Countries: The Experience of Local NGOs in Yemen," *International Journal of Disaster Risk Reduction*, vol. 75 (1 June 2022), accessed on 20/3/2026, at: https://tinyurl.com/s8f7cpa3

12 غسان الكحلوت، **العمل الإنساني الواقع والتحديات** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 56-64.

13 Elkahlout et al.

14 غسان الكحلوت، "توطين الاستجابة الإنسانية في غزة: ضرورة ميدانية لا خيارًا مؤسّسيًا"، **عمران**، مج 14، العددان 54-55 (خريف 2025 - شتاء 2026).

15 Bhupesh Kumar Mishra & Keshav Dahal, "Collaborative Framework with Shared Responsibility for Relief Management in Disaster Scenarios," 15/6/2024, accessed on 22/3/2026, at: https://tinyurl.com/y98mndcy

16 "Support for Mutual Aid in Three Central States in Sudan: Game Changing and Saving Lives," *Local to Global Protection*, October 2025, accessed on 22/3/2026, at: https://tinyurl.com/46atpckj

17 Mathaba Hatim Agab, "From People, for the People: Sudan's Fight for Food Security," in: *Food Security Hub*, 18th ed. (Kazakhstan: Islamic Organisation for Food Security, 2025), pp. 25-29, accessed on 22/3/2026, at: https://tinyurl.com/42tm2vkz

18 مؤسسة تقليدية سودانية ذات طابع ديني وتعليمي واجتماعي، وظيفتها الرئيسة تعليم القرآن الكريم.

من خلال إنشاء مطابخ في الأحياء لتقديم الطعام والدواء والرعاية الصحية المجانية. وقد انضمت غرف الطوارئ إلى عمل التكايا، وأصبحت من أولويات عمل القائمين عليها.

في سياق ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف غرف الطوارئ بوصفها آليةً من آليات العمل الطوعي الحديثة التي نشطت استجابةً للأوضاع الإنسانية الكارثية منذ بداية الحرب، في نيسان/ أبريل 2023؛ ففي الحصار الذي واجهه المدنيون نتيجة انقطاع الإمدادات الأساسية من ماء وغذاء وخدمات الرعاية الطبية، وسط تبادل إطلاق النار بين طرفَي النزاع، وما أسفر عنه ذلك من ارتفاع عدد الضحايا المدنيين، وتزايد تحدّيات دفن الجثامين، برزت مناشدات عبر وسائط التواصل الاجتماعي طلبًا للمساعدة. واستجابةً لذلك، نظمت مجموعات شبابية معتادة على العمل الطوعي جهودها لتقديم العون للمتضررين؛ فأُنشئت غرف طوارئ افتراضية ومجموعات لتنسيق العمل وفق أولويات محددة. وتناقش هذه الدراسة الكيفية التي تستمر بها هذه الغرف في العمل في ظروف الحرب وتحدّياتها؛ وتلقي الضوء على آليات التنظيم الهيكلي والتنسيق الإداري التي اعتمدتها مجموعات المتطوعين المسؤولة عن إنشائها، لتتمكّن من توسيع دائرة عملها وتنويع مهماتها وفقًا للحاجات المتزايدة والمتغيّرة في مناطق النزاع، ولتضمن استمرار وصول المساعدات إلى المتضررين. تفترض الدراسة أن الأزمات الإنسانية الناتجة من الحرب الجارية في السودان يمكن أن تحفّز تطوير آليات العمل الطوعي، وأنّ غرف الطوارئ يمكن أن تتحوّل إلى نموذج محلّي خالص للمنظمات الطوعية التي تعتمد على نحو كامل ورئيس على جهود المتطوعين السودانيين والدعم المادي لشبكات المتطوعين السودانيين من الخارج.

استخدمت الدراسة المقابلات[19] أداةً لجمع البيانات؛ إذ أجرينا 15 مقابلة[20] مع مسؤولي غرف الطوارئ في منطقة جغرافية واسعة، شملت محليات متعددة في الخرطوم وخارجها، هي كرري والخرطوم بحري وشرق النيل وأمبدة، إضافة إلى جزء من الأقاليم ضم شمال دارفور والقضارف. وتمحورت الأسئلة التي طرحناها على المشاركين حول أسباب نشأة هذه الغرف وسياقات تأسيسها وأهدافها وطرائق أدائها، إضافة إلى أسئلة متعلّقة ببيئة العمل الميدانية، والتحديات التي تواجهها وسبل التعامل معها. وأجرينا أيضًا مقابلات مع عدد من العاملين في المنظمات الوطنية والدولية، ركّزت على مدى حضور هذه المنظمات ميدانيًا، والعوائق التي تواجهها، وبدايات العمل المشترك مع غرف الطوارئ، والدعم المتبادل، إضافة إلى طبيعة التحديات التي تواجهها المنظمات في أثناء تأدية مهماتها المتعلقة بالاستجابة الإنسانية. وقد أجرينا هذه المقابلات كلها عن بُعد (أونلاين)، بسبب ظروف الحرب، ولم نرصد صعوبات في إجرائها، بخلاف تحديات عمل شبكة الاتصالات في السودان التي كثيرًا ما كانت تقطع فجأة، ما يؤدي إلى فقدان التواصل مع المشاركين، وتستلزم إعادة الاتصال أحيانًا فترات زمنية قد تمتد أيامًا عدة.

إضافة إلى ذلك، استفادت الدراسة من الأدبيات التي ناقشت المعوّقات المشتركة لتقديم الخدمات الطارئة خلال فترات النزاع وبعدها، والتي تشمل ضعف البنى التحتية واستمرار انعدام الثقة الاجتماعية بين مقدمي الخدمة والمستفيدين منها من المتضررين، إضافة إلى ندرة التدريب على الرعاية في حالات الطوارئ والنقص الحاد في الموارد والإمدادات[21]. واستفادت الدراسة أيضًا من الأدبيات التي ناقشت تعرّض متطوّعي الطوارئ للعنف والاعتداءات في فترة النزاع، ما يؤثر في أداء مؤسسات الرعاية الصحية، خصوصًا بسبب شحّ العاملين فيها[22]؛ إضافة إلى الأدبيات التي ناقشت مبادئ العمل الإنساني في فترات النزاع ومعوّقاته[23]، والتي تناولت أهمية الدعم الاجتماعي والروابط الاجتماعية في السودان في تعزيز الاستجابة الإنسانية المحلية للأزمات[24]، إضافة إلى الأدبيات التي ناقشت إمكانية دعم غرف الطوارئ بوصفها من أهم آليات الاستجابة الإنسانية في النزاع وأشدّها فعالية، وإمكانية توظيفها آليةً محليةً لتنفيذ شراكات هادفة ومؤثرة مع المنظمات الوطنية والدولية في سياق الديناميات الإنسانية المعقدة، المنبثقة من النزاع[25].

---

19 إن المقابلات المستخدمة في هذه الدراسة فردية، وتمّت عبر المنصّات الإلكترونية، وهي مقابلات شبه هيكلية، حيث تم الاعتماد على أسئلة معدّة مسبقًا، تغطي المحاور الرئيسة للبحث، مع إتاحة مساحة مرنة للتوسع وطرح أسئلة إضافية وفقًا لسياق الحوار مع المشاركين.

20 تم الحصول على موافقة مستنيرة من جميع المشاركين قبل إجراء المقابلات، حيث تم توضيح أهداف الدراسة وطبيعة استخدامها، بما في ذلك إمكانية الاستشهاد بنصوص من المقابلات في البحث، مع ضمان الحفاظ على سرّية المعلومات، وعدم الكشف عن هوية المشاركين.

21 Kalin Werner et al., "Emergency Care in Post Conflict Settings: Systematic Literature Review," *BMC Emergency Medicine*, vol. 23, Article no. 37 (April 2023), accessed on 7/11/2024, at: https://tinyurl.com/ysd6ptn8

22 Lama Bou et al., "Health Care Workers in Conflict and Post Conflict Settings: Systematic Mapping of the Evidence," *PLOS One*, 29/5/2020, accessed on 7/11/2024, at: https://tinyurl.com/5h79taez

23 Remi Russbach & Daniel Fink, "Humanitarian Action in Current Conflict Opportunities and Obstacles," *Medicine & Global Survival*, vol. 1, no. 4 (1994), accessed on 7/11/2024, at: https://tinyurl.com/4z58ffen

24 Izzy Birch, Becky Carter & Hassan-Alattar Satti, "Effective Social Protection in Conflict: Findings from Sudan," Institute of Development Studies, 6/9/2024, accessed on 7/11/2024, at: https://tinyurl.com/yr3kc2y6

25 Samantha k. Oslan, Maysoon Dahab & Melissa Parak, "Key Considerations: Mutual Aid Lessons and Experiences from Emergency Response Rooms in Sudan," Social Science in Humanitarian Action Platform (SSHAP), 28/10/2024, accessed on 7/11/2024, at: https://tinyurl.com/yxpzmcnr

تنقسم الدراسة ثلاثة مباحث رئيسة. يقدم المبحث الأول مدخلًا مفهوميًا إلى غرف الطوارئ، بينما يناقش المبحث الثاني التحديات التي تواجه غرف الطوارئ في السودان خلال عملها في فترات الحرب. ويقدم المبحث الثالث قراءة مقارنة بين تجربة عمل غرف الطوارئ في السودان وتجارب دولية أخرى.

أولًا: غرف الطوارئ: مدخل مفهومي

يمكن تعريف غرف الطوارئ بأنها مجموعات عمل قاعدي، تتكوّن من مواطنات ومواطنين يتضامنون طوعًا في أماكن سكنهم، لتلبية الحاجات الإنسانية التي تقتضيها ظروف الأزمات. وقد تشكّلت النواة الأولى لهذه الغرف السودانية من لجان المقاومة ولجان التغيير التي ظهرت خلال سنوات الثورة الشعبية التي اندلعت عام 2019 ضد نظام الرئيس السابق عمر حسن البشير (1989-2019). ومع تطور التجربة، توسعت لتضم عددًا من المتطوعين السودانيين من داخل البلاد أو خارجها، من أبناء الأحياء المقيمين في الخارج[26]. وفي مراحل نشأتها الأولى، اتّخذت غرف الطوارئ شكل مبادرات مجتمعية، أطلقها هؤلاء الفاعلون لمجابهة الأزمات، خصوصًا أزمة تفشّي جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) وما ترتب عليها من تداعيات اقتصادية، من قبيل النقص في مادة الدقيق وغاز الطهي الذي أدّى إلى تعطّل جوانب من حياة الناس اليومية، وولّد حاجة ملحّة إلى التحرك؛ وهكذا برزت الغرف بوصفها آلية فعالة للاستجابة. ثم اتّسع نطاق عملها، لاحقًا، خارج العاصمة، ليشمل عددًا من الأقاليم. ومع نشوب النزاع المسلح في نيسان/ أبريل 2023 وتصاعد حدّته، تجدد نشاطها، واستجابت بسرعة للنداءات والمناشدات عبر وسائط التواصل الاجتماعي، طلبًا لمساعدة المدنيين. وقد ضمّت، منذ بدايتها وإلى حين كتابة هذه الدراسة، نحو 3000 متطوع، وتمكّنت من سد الفراغ في تقديم المساعدات الإنسانية في الأحياء السكنية والمناطق المتضرّرة.

تُظهِر طبيعة نشأة غرف الطوارئ، بوصفها واحدةً من المبادرات المجتمعية، وتطور طرائق عملها، أن المبادرات والاستجابات المجتمعية في تقديم المساعدات غالبًا ما تكون امتدادًا لمسارات طويلة من العمل المدني المنظّم أو شبه المنظّم؛ إذ تساهم حالات الطوارئ في خلق واقع استثنائي يفرض تعليق السير الروتيني للحياة اليومية، ويولّد في المقابل حاجة ملحّة إلى التحرك والاستجابة السريعة. ويمكن ملاحظة هذا النمط من الاستجابة في مناطق وسياقات أخرى مختلفة من العالم. فقد شهدت إيطاليا، خلال تفشّي جائحة كوفيد-19، تشكّل مبادرات وتجمعات مجتمعية، الهدف منها مواجهة تداعيات الأزمة وتوزيع المساعدات الأساسية للسكان[27]، واعتمدت هايتي، في سياق أزمات محددة، على الشراكات بين المجتمعات المحلية والمنظمات الدولية لتنظيم جهود الإغاثة[28] وتعزيز فاعليتها. وعلى الرغم من اختلاف السياقات بين الحالات، فإن هذه التجارب مجتمعةً تؤكد أهمية التنظيم المدني والعمل التشاركي ضمن المجتمعات، وقدرتها على التكيّف مع الأزمات، وتطوير حلول واستجابات تساهم في التخفيف من وطأة الأوضاع الإنسانية المأساوية الطارئة.

اكتسبت غرف الطوارئ هذه الفعالية من خلال استنادها إلى نموذج العمل المحلي القاعدي، الذي يشير إلى العمل الجماعي الذي تبادر به فئات مختلفة من المواطنات والمواطنين بصورة طوعية ومستقلة. وتوصف هذه الفئات بالفاعلين المحلّيين، وتتميّز بعدم الانحياز السياسي أو الأيديولوجي؛ إذ تركز على تلبية الحاجات الإنسانية وتوفير الحماية للمدنيين من خلال أشكال تضامنية وتشاركية متعدّدة[29]. وقد ساعد الاعتماد على هذا النموذج في تعزيز استمرارية عمل هذه الغرف في ظروف الحرب والتحديات التي تفرضها، وساهم في ابتكار آليات مرنة للتنظيم الهيكلي والتنسيق الإداري التي تتوافق مع طبيعة الأزمة وظروفها وإكراهاتها. وهو ما أتاح توسيع نطاق عملها وتنويع مهماتها وفقًا للحاجات المتزايدة والمتغيّرة في مناطق النزاع، على نحو يضمن استمرارية وصول المساعدات إلى المتضرّرين. وسنتناول ذلك بالتفصيل لاحقًا.

تمتاز غرف الطوارئ بتنوّعها وفقًا للسياق الاجتماعي والتكوين القبلي والمجتمعي في المناطق التي تنشأ فيها. ففي ولاية الخرطوم التي تتكوّن من سبع محلّيات، هناك سبع غرف طوارئ، تجمعها غرفة طوارئ ولائية، تضم ممثلين من المحلّيات السبع، في مكاتب مختلفة؛ بينما تختلف الهياكل في ولايات أخرى وفقًا لظروفها المحلّية. ويعتمد بعض الغرف على نظام مركزي يشبه الهيكل التنظيمي الحديث، حيث يجري إنشاء غرفة مركزية واحدة، تضم تنسيقيات من الأحياء لرفع الحاجات العاجلة. ويتم تمثيل كل حي في الغرفة

26 إ. م و ن. ح، أعضاء غرف طوارئ الخرطوم وكرري، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 28-2024/10/31.

27 Lorenzo Zamponi, "Mutual Aid and Solidarity Politics in Times of Emergency: Direct Social Action and Temporality in Italy During the COVID-19 Pandemic," *Social Movement Studies*, 18/4/2023, accessed on 8/11/2024, at: https://tinyurl.com/mr3udzpj

28 Thomas D. Kirsch, Lauren M. Sauer & Debarati Guha-Sapir, "Analysis of the International and US Response to the Haiti Earthquake: Recommendations for Change," *Disaster Medicine & Public Health Preparedness*, vol. 6, no. 3 (October 2012), accessed on 21/10/2024, at: https://tinyurl.com/mr2vhzd7

29 مجلس تنظيم العمل القاعدي، النظام الأساسي، 2023/11/27.

المركزية، ويبقى باب التطوع مفتوحًا أمام جميع أبناء المنطقة، إلّا أن التنسيق في الأحياء قد يكون ضعيفًا بسبب اختلاف الكثافة السكانية والظروف الأمنية[30].

أما في النموذج اللامركزي، فيتكوّن الهيكل التنظيمي من غرفة على مستوى المحلّة، إلى جانب غرف قاعدية في كل حي؛ وتتسم فيه غرف الأحياء باستقلالية كبرى في اتخاذ القرارات وتنفيذ الأنشطة. وتُمثَّل هذه الغرف في هياكل غرفة المحلية وفقًا لمتطلّبات البرامج والتقارير والأنشطة التي تتّسق مع طبيعة عمل الغرفة[31]. وفي بعض الولايات، تتبنّى الغرف نموذج الديمقراطية القاعدية المباشرة، حيث يجتمع الناس في الميادين العامة لاختيار الأفراد المسؤولين عن إدارة الغرف. ويعكس هذا النوع من الهياكل طابعًا تشاركيًا، يتناغم مع الثقافة والبيئة المحلّية، ما يجعلها تعبيرًا حقيقيًا عن خصوصية المنطقة الثقافية والاجتماعية، من دون تعارض مع العمل المؤسسي. وفي بعض الولايات، جرى استحداث غرف نسائية خاصة بالكامل، تهدف إلى دعم النساء والأطفال النازحين، بوصفهم الفئة الأشد تضرّرًا من ويلات الحرب[32].

وجرى تشكيل مجلس لدعم الغرف، بدأت فكرته بضمّ غرف طوارئ ولاية الخرطوم كلها ضمن كيان واحد، أُطلق عليه اسم "مجلس غرف ولاية الخرطوم"، وهو أول آلية للتنسيق بين غرف الطوارئ في السودان. وقد استلهم هذا المجلس فكرة نموذج الحكم المحلي الذي يقوم على غرف طوارئ مركزية، تُدرَج تحتها وحدات إدارية، تتفرّع إلى غرف قاعدية على مستوى الأحياء[33]. ومع انطلاق عمل المجلس، بدأت مصادر التمويل تتنوّع، وظهرت مبادرات لتطوير هذا النموذج، ليصبح آليةً وطنيةً أوسع نطاقًا. وقد جرت مناقشات بين مختلف الفاعلين، بما في ذلك المنظمات ذات الصلة، وأسفرت عن إعداد نظام أساسي ينظّم العمل وآلياته. وجرى تغيير اسم المجلس من "مجلس دعم غرف ولاية الخرطوم" إلى "مجلس تنسيق العمل القاعدي"، حيث تتمحور فكرته حول توطين العمل القاعدي وربطه بالاقتصاد التضامني والحكم المحلي التشاركي، مستفيدًا من تجارب الغرف الجديدة وخبراتها.

بدأ المجلس بأربع منظمات وطنية ومنظمة دولية وغرف طوارئ ولاية الخرطوم. وجرى التنسيق والتعاون بينها بغية صوغ النظام الأساسي للمجلس. ولاحقًا، ضُمّت منظمات أخرى، ليصبح عددها تسع منظمات وطنية، إلى جانب عدد من المنظمات الدولية التي ساهمت في دعمه وتطويره. وإضافة إلى الغرفة الولائية في الخرطوم، ضُمّت غرف في ولايات أخرى، هي دارفور وسنار وكسلا[34]. ويبيّن النظام الأساسي للمجلس مفهوم الشراكة بوصفها ركيزة أساسية في العمل، تربط بصورة استراتيجية بين تدخّلات الطوارئ والعمل القاعدي، وتوطين العمل الطوعي وتعزيزه في إطار حكم محلّي تشاركي، يمكّن من استقطاب التمويل وضمان توزيعه على نحو عادل بين المحلّيات والولايات المختلفة؛ إذ يضطلع المجلس بدور رقابي يضمن كفاءة عمليات التمويل والتوزيع العادل[35].

يتألف هيكل غرف الطوارئ من مجموعة مكاتب رئيسة، تتنوّع في مهماتها وفقًا لاحتياجات السكان المتضررين. وتشمل هذه المكاتب مكتب البرامج والمكتب النسوي ومكتب الحماية والمكتب المالي ومكتب التموين ومكتب التعليم ومكتب المتابعة والتقييم والمكتب الطبي. وعلى الرغم من أن طبيعة عمل هذه المكاتب متشابهة في جميع المناطق، فإن حجم الحاجات وحدّتها يختلفان من منطقة إلى أخرى، ما يفرض ضرورة التكيّف المستمر مع الخصوصيات المحلّية. ففي منطقة شرق النيل، يعمل أكثر من 175 مطبخًا لتقديم الدعم لـ 150 ألف مستفيد، أي نحو 30 ألف أسرة، بمتوسط 5 أفراد لكل أسرة[36]. أما في منطقة بحري، فتتركز الجهود على قضايا المياه والعلاج وحاجات الإجلاء، مع توفير عيادات ومراكز صحية في الأحياء لتلبية حاجات السكان؛ حيث تم إصلاح سبعة مراكز صحّية وتشغيلها، وحفر 59 بئرًا وتهيئتها ليستفيد منها نحو 3000 فرد في منطقة العذبة، و2700 فرد في منطقة الشعبية، و11000 فرد في منطقة القري المتحدة، و3650 فردًا في منطقة السامراب، و2000 فرد في الكفاح والحلفاية[37]. وفي أمبدة، يعمل 69 مطبخًا و15 مركزًا صحيًا لتقديم المساعدات إلى 10450 مستفيدًا[38]، بينما يعمل في شمال دارفور 25 مركزًا صحيًا، و80 مطبخًا في الفاشر، إضافة إلى نحو 15 مطبخًا في المحلّيات الأخرى[39]. أما في ولاية الخرطوم، وبعض الولايات الأخرى، مثل القضارف، فقد اهتمت المكاتب النسوية بتلبية حاجات النساء، خصوصًا الحوامل واللواتي على وشك الولادة، كما جرى توفير مساحات آمنة للأطفال[40]. وقد كان مكتب التعليم من أبرز

30 أ. أ، عضو غرفة طوارئ بحري، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/17.

31 إ. م، عضو غرفة طوارئ الخرطوم، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/31.

32 م. ا، عامل إغاثة منظمة وطنية، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/3.

33 ض. أ، عامل إغاثة منظمة دولية، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/29.

34 م. س، عامل إغاثة منظمة وطنية، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/17.

35 م. ا، عامل إغاثة منظمة وطنية.

36 هـ. ا، عضو المكتب الإعلامي، غرفة طوارئ ولاية الخرطوم، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/28.

37 أ. أ، عضو غرفة طوارئ بحري، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/17.

38 أ. أ، عضو غرفة طوارئ أمبدة، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/3.

39 ص. ش، عضو غرفة طوارئ شمال دارفور، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/29.

40 م. خ، عضو المكتب النسوي، غرفة طوارئ ولاية الخرطوم، مقابلة عبر غوغل ميت، 2024/10/27.

الإضافات الحديثة في الخرطوم؛ إذ إنه يهدف إلى تعزيز التنسيق بين مختلف الغرف وفتح مسارات تعليمية بديلة. وقد جرى تجهيز أكثر من ست مدارس ومراكز لتحفيظ القرآن لضمان حصول الأطفال على التعليم والحماية من الانخراط في العنف. وهذه الجهود هي جهود مجتمعية بحت؛ إذ يسهر المتطوعون في الغرف، إلى جانب الفاعلين المهتمين في المجتمع، على تقديم الدعم والمساعدة اليومية[41].

تمثّل المقابلات التي أجريناها مع أعضاء غرف الطوارئ، باختلاف المناطق التي ينشطون فيها، جانبًا من الإجابة عن أسئلة هذه الدراسة، خصوصًا في ما يتعلق بالكيفية التي تعزّز بها غرف الطوارئ فعالية الاستجابة للأزمة الإنسانية الناتجة من النزاع، وكيفية تعزيز هياكلها التنظيمية وإدارة تنسيقها الذاتي. وتكشف المقابلات أن الحاجات الإنسانية التي فرضتها ظروف النزاع أدّت إلى ظهور الغرف في شكلها القائم، بوصفها هياكل منسقةً وفعالة وتعتمد بدرجة كبيرة على المجهودات المحلّية. وتجد هذه الإفادات سندًا لها في الأدبيات التي بيّنت أن الأزمات تُبرز قدرة الأشخاص العاديين على أن يكونوا شركاء فاعلين في مجتمعاتهم، من خلال ابتكار أساليب مرنة وخلّاقة لتقاسم الموارد وتقديم الدعم للفئات الأشدّ هشاشة، فالأزمات تتيح للأفراد فرصة الانخراط في المبادرات والحركات المجتمعية، انطلاقًا من اهتماماتهم وحاجاتهم اليومية، وتساهم جهود المساعدة المتبادلة في إنشاء مساحات اجتماعية جديدة، تُبنى فيها علاقات تضامن، تتّسم بالابتكار والفعالية. وعندما تنفّذ هذه الجهود بكفاءة، فإنها لا تقتصر على تقديم حلول آنية، بل تساهم أيضًا في بناء نماذج بديلة للحياة المجتمعية، تقوم على أنظمة جديدة للتعاطف والرعاية والتكافل، وتهدف إلى معالجة الأضرار وتعزيز رفاهية الأفراد والمجتمعات. وبذلك، تعكس هذه التجارب أن حالات الطوارئ يمكنها أن تحفّز نشوء شبكات دعم مستدامة، تعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية وتعزّز قدرة المجتمعات على الصمود[42] والتكيّف.

تؤكد الأدبيات أيضًا ما ذُكِر في المقابلات بشأن النواة التي شكّلت غرف الطوارئ، خصوصًا الأدبيات التي تناولت أشكال المساعدة المتبادلة والتضامن في بعض المجتمعات، التي تقوم على أسسٍ عائلية وروابط الجيرة وغيرها من الشبكات الاجتماعية الأخرى التي تؤدي دورًا حاسمًا في أوقات الأزمات الإنسانية. وقد ألقت هذه الأدبيات الضوء على المجتمع السوداني بوصفه أحد نماذج المجتمعات التي تكون فيها المساعدة المتبادلة والتضامن والتكافل سمة بارزة من سماته الاجتماعية؛ حيث ينخرط متطوعون في مختلف أنحاء البلاد

41 إ. م، عضو غرفة طوارئ الخرطوم.

42 Dean Spade, *Mutual Aid: Building Solidarity During This Crisis (and the Next)* (London: Verso, 2020), pp. 9-21, 45-98.

في جهود ومبادرات تقديم المساعدة والدعم والحماية لمجتمعاتهم خلال الأزمات، مستندين إلى موارد ذاتية في مجالات التنظيم والتنسيق والتمويل والحماية المجتمعية[43].

ثانيًا: تحديات عمل غرف الطوارئ

يُعدّ السودان من الدول التي تواجه تحديات إنسانية مزمنة؛ فقبل نشوب الحرب، كان العمل الإنساني أصلًا يواجه صعوبات بيروقراطية ولوجستية كأُداء، نتيجة للسياسات الحكومية، إلّا أنه لم يكن يُعدّ منطقة عالية الخطورة على عمّال الإغاثة الإنسانية، بل اقتصر الأمر على إنهاء عمل بعض المنظمات الإغاثية ووقف عملياتها في البلاد[44]. لكن المخاطر الأمنية أصبحت، بعد نشوب الحرب واتّساع نطاق أعمال العنف المسلح، أبرز العقبات التي تواجه المنظمات الإنسانية، ما أدّى إلى انسحاب معظمها، أو تقليص وجودها وانحسار نطاق عملها نحو المناطق الآمنة، بسبب تعرّض عامليها لأخطار مباشرة وشيكة، مثل القتل والاعتداء، بينما تعرّضت مكاتب المنظمات الإنسانية للنهب والتدمير. وقد أدّت هذه الأوضاع إلى انسحاب معظم المنظمات من المناطق المتأثرة بالنزاع المسلح، ما جعل المدنيين يعتمدون على المبادرات التطوّعية المحلّية في تحقيق أمنهم الغذائي والصحي. وفي سياق ذلك، أصبحت غرف الطوارئ الفاعل الوحيد في تقديم الخدمات في ولاية الخرطوم، لكنها واجهت تحديات معقّدة ومتصاعدة[45].

1. تحديات الاستجابة للطوارئ الصحية

أثّر الصراع الحالي، على نحو مباشر، في النظام الصحي في السودان؛ إذ تعرّض العديد من المستشفيات للقصف، واستولت أطراف النزاع على بعضها، ما أدى إلى خروجها من الخدمة (المدنية) تمامًا. ولتلبية الحاجات الصحية الملحة، عملت غرف الطوارئ على تشغيل عيادات مؤقتة في الأحياء، إلّا أن تعنّت طرفَي النزاع أدّى إلى تعطيل عمل العيادات؛ إذ صودرت الأدوية والمستلزمات الطبية التي كانت تُنقَل عن طريق المكاتب الطبية، وتفاقمت الأزمة الصحية مع انتشار الأمراض والأوبئة في بيئة تعاني أصلًا نقصًا حادًّا في المحاليل التشخيصية والأدوية الأساسية، إضافة إلى شحّ الكوادر الطبية المؤهّلة. وأدى هذا الوضع إلى تعرّض العاملين الصحيين والمتطوعين لخطر العدوى، ما زاد

43 Birch, Carter & Satti.

44 عبد الفتاح الهاشمي ووديع العرابيد، "الحيلولة دون انحسار الفضاء الإنساني في السودان"، **ورقة تحليلية**، مركز الجزيرة للدراسات، 2023/6/14، شوهد في 2024/11/8، في: https://tinyurl.com/ywymrz7b

45 م. ا، عامل إغاثة منظمة وطنية.

من تعقيد الاستجابة الإنسانية للأوضاع الصحية المعقّدة في البلاد[46]. وزاد الطينَ بلّةً انقطاعُ شبكات الاتصالات، الذي أدى إلى تأثر آليات التنسيق وتحديد الحاجات، خصوصًا بعد خروج خمس محلّيات من شبكة الاتصالات تمامًا، ما أجبر المتطوعين على التنقل بأنفسهم للإبلاغ عن الحاجات، على الرغم من المخاطر الأمنية المحدقة. وقد أثّر هذا الانقطاع في الحملات الإعلامية، ما صعّب نشر الوعي وتوجيه السكان إلى مواقع الخدمات والمساعدات[47].

يفرض هذا الوضع ضرورةَ تعزيز حماية الرعاية الصحية من خلال مراجعة التشريعات الوطنية وتعديلها بما يضمن حماية العاملين الصحيين والمرافق الطبية، ودعم جمع البيانات وتحليلها لفهم أنماط العنف وتطوير استراتيجيات للحدّ منه، إضافة إلى أهمية بناء منصّات تعاون بين الحكومة والمجتمع المدني ومنظماته، والعمل على تدريب المتطوّعين للتكيّف السريع مع العمل في بيئة النزاع المعقّد، والعمل على توفير الإمـدادات الطبية عبر الشبكات المحلية، هذا إضافةً إلى أهمية دور الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في دعم التنسيق والشراكات، وأهمية إشراك الفاعلين المحلّيين والقطاع الصحي، من دون أن نغفل ضرورة التزام القوات المسلحة الحكومية والمجموعات المسلحة، على حد سواء، بإدماج مبادئ حماية الرعاية الصحية في سياساتها واستراتيجياتها وتدريبات عناصرها، من أجل ضمان وصول آمن ومستمر للخدمات الصحية خلال النزاعات[48].

2. تحدّيات تحقيق الأمن الغذائي

تشير التقارير الدولية إلى أن أزمة الغذاء الناجمة عن الحرب الجارية في السودان تشمل البلاد بأكملها؛ حيث يعاني 755 ألف شخص مستوياتٍ حادةً من الجوع[49]. وقد أعلنت لجنة مراجعة المجاعة، بالتعاون مع مجلس الصليب الأحمر الدولي، حالة المجاعة رسميًا، في آب/ أغسطس 2024، في معسكر زمزم، في دارفور. ودفع هذا الإعلان السلطات إلى إعادة فتح معبر أدري، ما سمح بإيصال المساعدات الإنسانية إلى آلاف المحتاجين. وعلى الرغم من هذه التطورات، فإن المنظمات الإنسانية الدولية تواجه مخاوفَ حقيقيةً تتعلق بالقيود المحتملة التي قد تفرضها الحكومة على أنشطتها، الأمر الذي قد يعوّق جهودها في توفير الإغاثة للسكان المتضررين[50]. وأدّى تصاعد حدّة الاشتباكات المسلحة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع إلى نزوح واسع؛ فقد استقبلت مناطق في شرق النيل أكثر من 40 ألف نازح، معظمهم من شرق الجزيرة، في ظل نقص حادٍ للتمويل، ما أدّى إلى إغلاق نحو 150 مطبخًا مجتمعيًا، وتسبب في حرمان آلاف الأسر والأطفال من الدعم الغذائي. وناشدت غرف الطوارئ المجتمع المحلّي والدولي تقديم الدعم العاجل لضمان استمرار خدمات الإغاثة[51]. وأبلغت غرفة طوارئ أمبدة، في 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، عن رصد حالات سوء تغذية شديدة لدى أكثر من 100 طفل، وهي الحالات التي وصلت إلى المستشفيات والمراكز الصحية[52].

لذلك، ينبغي للمنظمات الدولية والمحلّية تعزيز أنظمة الاستجابة المحلية القائمة على المجتمع وحمايتها، ودعم الأسواق المحلّية في المناطق الآمنة، وتطوير مشروعات مستدامة فيها، نظرًا إلى دورها الحيوي في ضمان بقاء الفئات الأشدّ هشاشة في السودان. وفي هذا السياق، تبرز أهمية تقييم فعالية الفاعلين المحلّيين بعناية، والنظر في تفويضهم جزءًا من الاستجابة الإنسانية الدولية، بما يتيح توزيع المساعدات على نطاق أوسع، خصوصًا في المناطق التي يصعب الوصول إليها. ويستدعي ذلك كله دعمَ التوسّع العاجل في برامج غرف الطوارئ والمطابخ الجماعية من خلال آليات تمويل مباشرة ومرنة، إضافة إلى الدعوة إلى ضمان سلاسل إمداد غير معرقلة، وتوفير بيئة تشغيل آمنة لهذه المبادرات[53].

3. تحديات الحصول على التمويل وتوزيع المساعدات الإنسانية

يتمثّل التحدي الرئيس، في ما يتعلق بتوزيع المنح الإنسانية في السودان، في أن التمويل يجري تخصيصه بناءً على أولويات المانحين ونظام عمل المنظمات الدولية، بدلًا من تلبية الحاجات الملحّة على الأرض. وتعمل المنظمات الدولية وفق تفويضات محددة، تُلزمها بتوجيه المِنَح نحو أهداف معيّنة، ما يعني أن أي حاجات لا تتماشى مع هذا التفويض تُستبعَد تلقائيًا من الدعم، بغض النظر عن مدى

46 ن. إ، عضو المكتب الطبي، غرفة طوارئ ولاية الخرطوم، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/27.

47 هـ. ا، عضو المكتب الإعلامي غرفة طوارئ ولاية الخرطوم، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/10/28.

48 اللجنة الدولية للصليب الأحمر، **الرعاية الصحية في خطر: التغلّب على التحديات** (جنيف 2015)، شوهد في 2026/3/22، في: https://tinyurl.com/3hf7t4hf

49 وائل عبد الله إبراهيم وسالي محمد فريد محمود وعثمان أحمد عثمان، "الاستراتيجية البديلة لتفعيل العمل الخيري للحد من الفقر المتعدد الأبعاد باستخدام التحليل الرباعي: السودان حالة دراسية"، **الدراسات الأفريقية**، مج 45، العدد 3 (تموز/ يوليو 2023)، ص 653.

50 Anita Kirschenbaum, Caitlin Welsh & Zena Swanson, "Conflict, Hunger, and Famine in Sudan," Center for Strategic & International Studies (CSIS), 11/9/2024, accessed on 10/11/2024, at: https://tinyurl.com/4ypnkyke

51 م. م، عضو غرفة طوارئ شرق النيل، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/28.

52 أ. أ، عضو غرفة طوارئ أمبدة.

53 *Famine Review Committee: Combined Review of: (i) The Famine Early Warning System Network (Fews net) IPC Compatible Analysis for IDP Camps in El Fasher, North Darfur; and (ii) The IPC Sudan Technical Working Group Analysis of Zamzam Camp (North Darfur)* (The Integrated Food Security Phase Classification (IPC), Sudan 2024), accessed on 20/3/2026, at: https://tinyurl.com/3cum6ake

أهميتها. وعلاوة على ذلك، تُعدّ الغرف ملزمة من جانب المنظمات المانحة بتقديم مقترحات للتمويل، بما يتوافق مع المنح الصادرة، من دون مراعاةٍ كافية للتفاوت في حجم الحاجات بين المناطق، أو لاختلاف السياقات المحلّية للنزاع. وتفضي هذه المقاربة المركزية إلى إضعاف مرونة الاستجابة، خصوصًا في قطاعات حيوية، مثل الأدوية والمستلزمات الطبية التي غالبًا ما تُستثنى وتُستبعَد من التمويل[54]. وعلى الرغم من ضخامة حجم التمويل، فإنه لا يغطي الحاجات كلها، فضلًا عن أن الاستجابة تعاني بطئًا شديدًا وبيروقراطية مفرطة؛ إذ يمر الدعم عبر منظمات وسيطة، تستقطع نسبة عالية من المخصصات، ما يقلل كفاءة إيصال المساعدات. وعلاوة على ذلك، تعاني الجهود الإنسانية تقاطعاتٍ سياسيةً وصراعاتٍ على النفوذ، سواء داخل المجلس أو بين غرف الطوارئ نفسها، الأمر الذي يزيد حدة التوتر بين الأطراف[55] ويؤثر سلبيًا في فعالية التنسيق والاستجابة.

ولتجاوز عقبة التمويل والتحديات الناتجة منها، ينبغي لغرف الطوارئ تنشيط عمل مجلس تنسيق العمل القاعدي وبناء شراكات قائمة على الاستدامة والتكامل بين الفاعلين المحليين والدوليين، ويتطلّب ذلك توفير أساليب وآليات للتمويل المرن والمباشر، تدعم المبادرات المجتمعية وتخفف من تعقّد الإجراءات البيروقراطية التي يجد العديد من المتطوعين صعوبة في الامتثال لها، مع الأخذ في الحسبان أن توفير الحاجات التي عليها يعتمد بقاء الناس، يتطلّب سرعة في توزيعها، مع الاستمرار في تقييم أولوياتها. ويمكن أن يساهم هذا النوع من الشراكات بالدفع نحو مرحلة أكثر تقدّمًا من توطين العمل الإنساني في السودان، بما يعزّز الاعتماد على القدرات المحلّية، ويدعم أنماط المساعدة المتبادلة في المجتمعات. ويتطلّب ذلك الاستثمار في التوثيق المستمر والتحليل المنهجي لهذه التجارب، بما يساهم في بناء معرفة تراكمية، يمكن الاستفادة منها في تصميم استجابات محلّية مستقبلية في سياقات النزاع والمناطق المتأثرة بالحروب[56].

4. التحدّيات الأمنية التي تواجه المتطوّعين

تنشأ التحديات الأمنية التي تواجه متطوّعي غرف الطوارئ من طبيعة عملهم في إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق المتضررة والسكان المتضررين، إضافة إلى المخاطر المرتبطة باستلام مبالغ التمويل الكبيرة وإدارتها. وقد تعرّض عدد من المتطوّعين لاعتقالات تعسفية من طرفَي النزاع، على حد سواء. ففي بعض المناطق، فرضت قوات الدعم السريع ضغوطًا على المتطوّعين لإجبارهم على التسجيل ضمن منظمة "العون الإنساني"، التابعة لها، من أجل السيطرة على المساعدات الإنسانية وتوجيهها لخدمة أجنداتها. ومن جهة أخرى، أصبح التنسيق الذي يضطلع به المتطوّعون لإدخال المساعدات إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة قوات الدعم السريع يثير الريبة لدى الجيش، ما أدّى إلى اعتبارهم متعاونين مع الطرف الآخر. وزادت هذه الاتهامات المتبادلة من تعقيد عمل المتطوّعين؛ إذ أصبحوا أهدافًا للأجهزة الأمنية. وأدّى تحويل التمويل إلى الحسابات الشخصية للمتطوعين، نتيجة غياب إطار رسمي منظم، إلى مزيد من الضغوط والمخاطر، ما جعل العمل التطوّعي في السودان محفوفًا بالمخاطر الأمنية والتحديات اللوجستية والسياسية[57]؛ إذ تعرّض العديد من العاملين في غرف الطوارئ، في مختلف المناطق، لمخاطر جسيمة، بلغت حد الاعتقال والتعذيب والاعتداء الجنسي، بل حتى التصفية الجسدية. وقد فقد متطوّعون كثيرون حياتهم نتيجة الاشتباكات المسلحة، أو بسبب تفشّي الأمراض الوبائية التي أصبحت تنتشر على نحو واسع. وعلى الرغم من أهمية توافر البيانات، فإن العديد من غرف الطوارئ رفض تقديم إحصاءات دقيقة عن عدد الضحايا، بحجة غياب سجلات موثوقة، والخوف من الهجمات الانتقامية في حال الكشف عن تلك المعلومات. وأكد بعض الذين قابلناهم أن الإفصاح عن هذه الإحصاءات قد يؤدي إلى ملاحقة العاملين وتهديد سلامتهم الجسدية، خصوصًا مع استهداف الأطراف المتنازعة للمتطوعين والعاملين في المجال الإنساني؛ فوجود هؤلاء العاملين والمتطوعين المستمر في الميدان، يعكس صمودهم، لكنه يُظهر، كذلك، خطورةَ الأوضاع القائمة في السودان، ومن ثم الحاجة إلى توفير آليات حماية ودعم فعالة.

تُعدّ غرف الطوارئ الجهة الرئيسة التي يجري من خلالها تنفيذ الاستجابة للأزمات الإنسانية الناجمة عن النزاع المستعر، فحتى تاريخ كتابة هذه الدراسة، ينتشر الصراع في أجزاء واسعة من السودان، مع تجاهل إعلامي كبير للأزمة الإنسانية في البلاد، ما يساهم إلى حد كبير في صرف انتباه المجتمع الدولي عن الانتهاكات الجسيمة التي يواجهها المتطوّعون والمدنيون على حد سواء. وقد تزايدت حدّة هذا التجاهل الإعلامي مع اندلاع حرب غزة عام 2023، التي استحوذت على قدر كبير من التغطية الإعلامية العالمية والاهتمام الدولي، ما أدّى إلى مزيد من تهميش الأزمة السودانية على الأجندة الدولية.

54 أ. ع، عضو مكتب البرامج غرفة طوارئ ولاية الخرطوم، مقابلة أونلاين عبر غوغل ميت، 2024/11/11.

55 إ. م، عضو غرفة طوارئ الخرطوم.

56 سامانثا ك. أولسون وميسون دهب وميليسا باركر، "الاعتبارات الرئيسية: دروس وخبرات المساعدة المتبادلة من غرف الاستجابة للطوارئ في السودان"، **منصّة العلوم الاجتماعية في العمل الإنساني** (*SSHAP*، 2024)، شوهد في 2024/11/11، في: https://tinyurl.com/wzmxcmpp

57 أ. ع، عضو مكتب البرامج غرفة طوارئ ولاية الخرطوم.

وقد أدّى ذلك إلى تقليص الفرص المتاحة لضمان توفير التمويل اللازم لتلبية الحاجات الإنسانية الهائلة التي يحتاج إليها السودان.

يمكن فهم التحديات الأمنية والاعتداءات التي يتعرّض لها العاملون في غرف الطوارئ في السودان في سياق أوسع، يرتبط بأنماط العنف الذي يستهدف العاملين في المجال الإنساني عامة، مثلما تناولتها الأدبيات من منظور التحوّلات الملحوظة خلال السنوات الأخيرة؛ إذ كانت الهجمات في الماضي عشوائية، تفرضها ظروف النزاع المسلح، بينما أصبحت اليوم أكثر تنظيمًا واستهدافًا مباشرًا للعاملين في المجال الإنساني. ويُعزى هذا التحوّل بصورة جزئية إلى تغيّر طبيعة النزاعات المعاصرة؛ إذ أصبحت معظمها نزاعات داخلية مستعصية على السيطرة الإقليمية والدولية، ويصعب إخضاعها للمواثيق والقوانين والمعاهدات الدولية، ويصعب إثبات الانتهاكات والخروق أو مساءلة أطراف النزاع، الأمر الذي يؤدي إلى تراجع معدلات الثقة بين المنظمات الإنسانية المقدِّمة للمساعدات والدول، ويعوّق تمويل عمليات الاستجابة الإنسانية. وفي هذا السياق، أصبح العاملون في المجال الإنساني أهدافًا سهلة لاستغلالهم في تمرير أجندات مختلفة، وذلك بسبب استعداد الأطراف المتنازعة لاستخدام وسائل حرب غير تقليدية، بما في ذلك استهداف المدنيين وعمّال الإغاثة، من دون الخوف من المساءلة. ويرجع ذلك إلى تعقّد طبيعة النزاعات المسلحة المعاصرة، التي تفتقر إلى وضوح الخطوط الفاصلة بين الأطراف المتنازعة، إضافة إلى تآكل القواعد الأخلاقية التي كانت تحكم الصراعات التقليدية[58].

من الصعب تحديد آليات للحدّ من التحديات الأمنية في البيئات الصراعية الحادّة أو التخفيف منها، في واقع عدم التزام أطراف النزاع بالقوانين التي تحمي عمال الإغاثة، بل تسييس عملهم واستخدامهم لخدمة أجندات مختلفة. لكن ذلك لا يمنع إمكانية العمل على تخفيف وطأة هذه التحديات، من خلال اضطلاع المجتمعَين المحلّي والدولي بالضغط على أطراف النزاع لوقف الاعتقالات التعسّفية والاعتداءات ومحاسبة الأطراف المنتهكة لحقوق الإنسان. وينبغي للفاعلين المحلّيين والمبادرات المجتمعية وغرف الطوارئ تطوير بروتوكولات سلامة أساليب العمل المحلية، تساهم في ضمان سلامة العاملين فيها، في ظروف النزاعات المعقدة.

يتفق مضمون المقابلات التي أجريناها مع ما ذهبت إليه الأدبيات التي ناقشت التحديات المتزايدة التي تواجه العاملين في المجال الإنساني التطوعي في سياقات تفتقر إلى الدعم القانوني والحماية الدولية. وتستند تلك الأدبيات إلى الدور الذي تضطلع به المنظمات الدولية في تمكين المجتمعات المحلّية من تقديم العون الإنساني، تحت إشراف ورقابة دوليَين[59]. ويمكن فهم هذا التوجّه من جانبين أساسيين: يتمثّل الأول في تقليص وجود المنظمات الدولية في البيئات الشديدة الخطورة لحماية موظفيها، بعد الهجمات التي استهدفت موظفي الوكالات الإنسانية الدولية في مناطق، مثل أفغانستان والعراق، وحاليًا في السودان[60]. ففي ولاية الخرطوم، جرى الاعتماد كثيرًا على غرف الطوارئ لتقديم العون الإنساني في بيئة بالغة الخطورة، ما عرّض متطوّعيها لمخاطر متعدّدة في وضع صحي وأمني شديد التدهور، إضافة إلى صعوبات التمويل اللازمة لمواصلة أنشطتها الإنسانية. أما الجانب الثاني، فيتمثل في تمكين المجتمعات وتوطين العمل التطوعي من خلال تدريب أفرادها بوصفهم مستجيبين أوائل[61]، أو مبكرين. ويتجلّى هذا التوجه بوضوح في دعم تطوير العمل التنظيمي المؤسسي لمجلس تنظيم العمل القاعدي وشركائه، من منظمات وغرف طوارئ. وعلى الرغم من هذه التحديات، فإن متطوعي غرف الطوارئ يواصلون العمل بجهد حثيث لإيصال المساعدات الإنسانية إلى آلاف المحتاجين، من دون اعتبار للمخاطر التي تواجههم، وذلك في سياق غياب ضغط كافٍ من القوى الدولية والمنظمات الدولية لفرض هدن، أو فتح ممرات آمنة لتسهيل إيصال المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين إليها.

ثالثًا: غرف الطوارئ السودانية في سياق مقارن بتجارب دولية

يمكن مقارنة تجربة غرف الطوارئ في السودان بتجارب دولية أخرى عدة، بالنظر إلى أوجه المقارنة الممكنة في ظروف النشأة وطبيعة العمل وخصائص الفاعلين أنفسهم والتحديات التي تواجههم في أثناء تنفيذ أنشطتهم. فمن ناحية النواة التكوينية الأولى للغرف، التي بدأت بوصفها مبادرة طوعية من فاعلين محليين لمجابهة الأزمات، يمكن مقارنتها بنموذج شبكات التكافل المتبادل التي انبثقت خلال فترة تفشّي جائحة كوفيد-19 في إيطاليا، حيث تشكّلت مبادرات من

58 Agnieszka Bien´czyk-Missala & Patrycja Grzebyk, "Safety and Protection of Humanitarian Workers," in: Pat Gibbons & Hans-Joachim Heintze (eds.), *The Humanitarian Challenge: 20 Years European Net Work on Humanitarian Action* (New York/ London: Springer, 2015), pp. 221, 253, at: https://acr.ps/hBy2sxQ

59 Nonso Jideofo, "Localizing Humanitarian Action," UNHCR Innovation Service, 2020-2021, accessed on 8/11/2024, pp. 10-14, at: https://tinyurl.com/mvuxvkx4

60 محمد قسوم، "حماية أفراد المنظمات الدولية والإنسانية: اللجنة الدولية للصليب الأحمر نموذجًا"، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2022، ص 13-20.

61 م. ا، عامل إغاثة منظمة وطنية.

شبكات دعم محلّية غير رسمية لتلبية الحاجات الأساسية من غذاء ودواء، واعتمدت في توسّعها على التطوّع والتنظيم الذاتي. وقد تميّز الفاعلون في هذه الشبكات بأنهم مزيج من الناشطين (فاعلون سبق لهم الانخراط في أنشطة سياسية أو مجتمعية) والمتطوّعين (فاعلون اقتصر انخراطهم على زمن الأزمة)[62]. وهذا النموذج من الفاعلين شبيه إلى حدٍ بعيد بتركيبة الفاعلين في غرف الطوارئ السودانية.

يمكن ملاحظة نمط نشأة غرف الطوارئ، بوصفها مبادرةً مجتمعية قادرة على الاستجابة السريعة لحاجات السكان، في تجارب دولية أخرى، أبرزها تجربة هايتي، التي ظهرت فيها الشراكات المجتمعية في شكل مبادرات مجتمعية تكافلية وشبكات محلّية غير رسمية، إلّا أنها تعرّضت للتهميش من الفاعلين الدوليين والمنظمات الدولية لتنظيم جهود الإغاثة، واقتصر دورها على التنفيذ بدلًا من اتّخاذ القرار، وهو ما أضعف فعالية الدعم الخارجي، على الرغم من ضخامة الموارد، في حين كان الأحرى الاعتماد على الفاعلين المحلّيين وتعزيز قدراتهم[63].

من ناحية الظروف التي أفضت إلى نشأتها، وهي ظروف النزاع وتفاقم الحاجات الإنسانية العاجلة المصاحبة له، يمكن مقارنة غرف الطوارئ في السودان بآليات الاستجابة الإنسانية التي انبثقت في أوكرانيا عقب نشوب الحرب الروسية - الأوكرانية عام 2022. فخلال الشهور الأولى من الحرب، تحركت مجموعات قاعدية شعبية، مؤلّفة من متطوّعين محلّيين، بسرعة، لسدّ الفجوة الحرجة في تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين من العمليات العسكرية. واتّسمت هذه المجموعات بأنها شبكات متجذّرة محليًا وغير رسمية. وعلى الرغم من أن معظم متطوّعيها لم يملكوا خبرة في العمل الإنساني، فإنهم تمكّنوا من تقديم مساعدات واسعة. وقد ساعدتهم في ذلك قوّة الروابط الاجتماعية في مجتمعاتهم، ومستوى الثقة الذي حظوا به بين السكان المحليين، ما ساهم في تسريع الاستجابة للحاجات الإنسانية والطبية. وخلال الشهور الأولى من الحرب، تمكّنت هذه المجموعات التطوّعية المحلّية من أداء دور المنظمات والوكالات الدولية العاملة في المجال الإنساني[64]. ويشبه هذا النموذج تجربة غرف الطوارئ في السودان من ناحية ظروف النشأة، إضافة إلى أن هذه الغرف تشكّلت وتطوّرت بوصفها مجموعات محلّية قاعدية متطوّعة، تجمعها اهتمامات مشتركة، من دون أي تحيّزات سياسية أو عرقية.

62 Zamponi.

63 Kirsch, Sauer & Sapir.

64 Renata Konrad, Solomiya Sorokotyaha & Daniel Walker, "Humanitarian Response by Grassroots Associations During a Military Conflict," *Journal of Humanitarian Logistics and Supply Chain Management*, vol. 14, no. 2 (2024), pp. 140-159, accessed on 20/3/2026, at: https://tinyurl.com/brpzc8ph

من ناحية أخرى، يمكن مقارنة غرف الطوارئ في السودان بتجربة المجموعات الطوعية التي نشأت في سورية خلال سنوات النزاع الأهلي، ولا سيما على مستوى التحديات التي واجهتها، والتي تشبه إلى حدٍ كبير التحديات التي تواجه العاملين المتطوّعين، من ملاحقات واعتقالات وتعذيب، وبلغت حد الإعدام أحيانًا. لقد كانت الجماعات الشبابية في سورية تعمل خارج سيطرة النظام، وتسعى لتوزيع المساعدات الإنسانية بصورة عادلة على المتضررين، من دون تحيّزات سياسية أو عرقية، وهي تشبه نموذج غرف الطوارئ السودانية في كونها مبادراتٍ مدنيةً غير رسمية، تشكّلت لتقديم خدمات الإغاثة الطارئة والمساعدات الطبية الملحّة، واتّسمت بنموّ وتوسّع متسارعَين من أجل تلبية الحاجات العاجلة، مقارنة بالمنظمات الدولية التي تقيّدها البيروقراطية[65]. إضافة إلى ذلك، يشبه النموذج السوري نموذج غرف الطوارئ السودانية من ناحية الاعتماد على التواصل الرقمي في تنظيم أعمال الاستجابة الإنسانية وتنسيق المساعدات ونشر المعلومات، ما يجعلهما قائمَين على تنظيم محلّي ذاتي، قادر على سدّ الفجوات وقت الأزمة باستخدام أبسط الإمكانيات[66].

ويمكن مقارنة نموذج غرف الطوارئ في السودان بنموذج المنظمات المحلّية للعمل الإنساني في غزة من ناحية الظروف التي أوجدتهما؛ أي النزاع المعقّد الذي تمخّض عنه نزوح واسع وتدمير للبنى التحتية وانهيار منظومات الخدمات الأساسية والصحية، ما أدّى بالنموذجين إلى مواجهة التحديات نفسها، خصوصًا تلك المتعلقة بانقطاع الاتصالات الذي تترتب عليه عرقلة التنسيق بين المنظمات المحلية والدولية، إضافة إلى تفاقم التحديات المتعلقة بالتمويل، التي تؤدي إلى الحد من وصول المساعدات الإنسانية، إلى جانب التحديات الأمنية التي تواجه العاملين أنفسهم. ومن ناحية أخرى، يتشابه النموذجان من حيث تفعيل مشاركة النساء في عمليات الاستجابة الإنسانية والعمل على تمكينهن وتعزيز مهاراتهن الاجتماعية والتدريبية[67].

تُظهر المقاربات السابقة فعالية آليات العمل الطوعي المحلّي في الاستجابة الإنسانية السريعة للأزمات الإنسانية، بمختلف أنواعها، سواء أكانت ناتجة من نزاعات مسلحة أم من كوارث طبيعية. وعلى الرغم

65 Emrah Atar & Mazen Alhousseiny, "The Evolution of the Syrian Humanitarian NGOs and External Challenges," *The Rest: Journal of Politics and Development*, vol. 11, no. 2 (Summer 2021), pp. 101-119, accessed on 20/3/2026, at: https://tinyurl.com/yuby97jp

66 Rana B. Khoury & Alexandra A. Siegel, "Civil Organizing in War: Evidence from Syrian Facebook Communities," *Perspectives on Politics* (Cambridge University Press), 26 December 2024, accessed on 20/3/2026, at: https://tinyurl.com/2k6a5f4p

67 الكحلوت، "توطين الاستجابة الإنسانية في غزة ضرورة ميدانية لا خيارًا مؤسسيًا".

من التباين في طبيعة الأزمات، فإن ثمة اتفاقًا واضحًا في الأدبيات على قدرات المجموعات المحلّية ومنظمات المجتمع المدني على التخطيط واتخاذ القرار في ظروف معقدة. وتتجلّى مرونتها التي تتّسم بها في إعادة هيكلة نفسها بما يناسب متطلّبات الاستجابة الإنسانية في أوقات الأزمات؛ فسواء أكانت مبادرات شبابية طوعية أم مجموعات تكافلية أم لجانًا سياسية، سرعان ما تنظّم نفسها ذاتيًا، وتتحوّل نحو العمل الإنساني غير المتحيّز، بهدف تلبية الحاجات الملحة للمتضررين.

لقد تعامل المجتمع المدني السوداني، بقطاعاته كلها (المجتمع المدني المحلي ومجموعات الشتات والمجتمع المدني الثوري)، مع الأزمات السابقة الذكر (تفشّي جائحة كوفيد-19 والنزاعات المسلحة)، ومع التحديات الناجمة عنها، من خلال آليات تعكس قدرته على التنظيم الذاتي والاستجابة السريعة، على الرغم من أن معظم منظماته تواجه شحًّا في الموارد، وتعمل في حيّز قانوني مقيّد[68]. ويُنظر إلى الحرب الجارية في السودان بوصفها نزاعًا معقّدًا من ناحية التداعيات الإنسانية وصعوبات التعامل معها محليًّا بسبب تعثّر المنظمات الدولية في تحقيق استجابة إنسانية فعالة، نظرًا إلى تدهور الاستقرار الأمني، إضافة إلى بطء الإجراءات البيروقراطية التي تعرقل عمليات التمويل. وفي هذا السياق، تأتي غرف الطوارئ، بوصفها نموذجًا واعدًا لتوطين العمل الإنساني، لتعكس أثرًا جانبيًا "إيجابيًا" من آثار الأزمات، يتمثل في تحفيز تطوير آليات العمل الطوعي. ويؤكد هذا فرضية الدراسة القائلة إن غرف الطوارئ في السودان يمكن أن تتحوّل إلى نموذج محلّي للمنظمات الطوعية التي تعتمد على نحو كامل ورئيس على جهود المتطوّعين السودانيين والدعم المادي لشبكات المتطوّعين السودانيين من الخارج، ما يخلق نموذجًا هجينًا يجمع بين جهود المتطوّعين المحلّية والعابرة للحدود.

بناء عليه، تمكّننا هذه الدراسة من مقاربة السؤال المتعلق بتقييم غرف الطوارئ في السودان من خلال مقارنتها بتجارب دولية أخرى. ومع بزوغ مؤشرات انحسار الحرب في بعض المناطق، يصبح من الممكن النظر إلى هذه الغرف بوصفها نموذجًا عمليًا لتحقيق مساعي توطين العمل الإنساني وتعزيز المبادرات القاعدية في السودان. وفي هذا السياق، يؤكد المتطوعون في هذه الغرف ضرورة إعطاء الأولوية لمشاريع التعافي، إلى جانب الاستجابات الطارئة، خصوصًا مع بدء عودة السكان إلى منازلهم في مناطق معيّنة. ويشدّدون على أهمية معالجة الأسباب الجذرية لعدم المساواة، بدلًا من التركيز على مشروعات قصيرة الأجل، لا تُحدث أثرًا مستدامًا. وهذا ما يؤكد سعيهم للاستمرار في العمل الطوعي وتطويره وتوسيع نطاقه من خلال تعزيز التشبيك بين المنظمات غير الحكومية السودانية ومجموعات المساعدة المتبادلة وغرف الطوارئ، بما يدعم التدخّلات الاستراتيجية ويحسّن آليات التنسيق، ويتيح أيضًا فرصًا لتبادل الخبرات والتعلّم بين الأقران. ويظهر دعمهم هذا لمساعي التوطين من خلال توصياتهم المرفوعة إلى الجهات المانحة بضرورة تقليل الاعتماد الحصري على المنظمات الدولية غير الحكومية، وإتاحة تمويل أشد مرونة وأقل تقييدًا للمنظمات الوطنية ومجموعات المساعدة المتبادلة وغرف الطوارئ[69]، على نحو يعزّز فعالية الاستجابة الإنسانية واستدامتها.

خاتمة

تبيّن نتائج هذه الدراسة، من خلال فحص تجربة غرف الطوارئ في السودان، أن الأزمات الإنسانية، الناتجة من حرب نيسان/ أبريل 2023، ساهمت على نحو ملحوظ في تطوير آليات العمل الطوعي. وتكشف المقابلات، التي أجريناها مع ممثلي غرف الطوارئ والمنظمات المانحة، عن التطور المستمر الذي تشهده هذه الغرف منذ نشأتها. وقد تجسّد هذا التطور في تأسيس مجلس لتنظيم العمل القاعدي، يهدف إلى تعزيز الهياكل المؤسسية والتنظيمية لعمل الغرف، بما يمكّنها من الاستمرار في تنفيذ أنشطتها بفعالية، على الرغم من الظروف والتحديات التي تواجهها. وقد أكدت إحدى المنظمات الأربع المؤسِّسة للمجلس، خلال المقابلات، رؤيتها لإمكانية أن تضطلع غرف الطوارئ بدور محوري في عملية بناء السلام وبناء الدولة مستقبلًا، حتى إذا تطلّب الأمر العمل ضمن أطر أو مسمّيات مغايرة.

وعلى مستوى التحديات، كشفت الدراسة عن جملة من المعوّقات التي تواجه العمل الطوعي في سياق الحرب، وأبرزها ضعف البنى التحتية وتدهور شبكات المواصلات والاتصالات، إلى جانب النقص الحاد في الموارد والإمدادات، ما يسفر عن تحدّيات أخرى، تتمثّل في صعوبة الوصول إلى أصحاب الأولوية في الرعاية. وساهم انقسام نطاق السيطرة بين طرفَي النزاع المسلح في تعقيد عمليات إيصال المساعدات، وأدّى إلى نشوء أزمة ثقة اجتماعية بين مقدّمي الخدمات من المنظمات المحلّية والمستفيدين منها. ويواجه المتطوّعون أنفسهم تحديات تتعلّق بأمنهم وسلامتهم الشخصية، الأمر الذي يضطرّهم إلى الابتعاد عن العمل حفاظًا على أرواحهم؛ وهو ما يجعل

68 Abdel Rahman El Mahdi, Izzeldien Abdelhamied & Lugain Mahmoud, *Civil Society and Conflict in Sudan: Shifting Roles, Challenges and Priorities* (Stockholm: International Institute for Democracy Electoral Assistance, 2024), accessed on 18/3/2026, at: https://tinyurl.com/43yecmay

69 "Support for Mutual Aid in Central State in Sudan: Game Changing and Saving Lives."

المنظمات الطوعية تعاني شحًّا في العاملين، ما يحدّ من قدرتها على الاستجابة الإنسانية.

إضافة إلى ذلك، ركّزت الدراسة على التحديات التي تواجه غرف الطوارئ، وكيفية تعاملها معها لتتمكن من مواصلة العمل في أتون الحرب التي اتّسمت باتساع نطاقها الجغرافي، ما جعل تلك الغرف تواجه صعوبات في التخفيف من حدّة انعدام الأمن الغذائي، خصوصًا مع اعتماد هذه المبادرات بدرجة كبيرة على مساهمات المجتمع المحلّي لضمان استمرارية السلع والخدمات التي تقدّمها للمحتاجين، والتي تتأثر بالتدهور الاقتصادي المستمر الذي يعوّق تأمين الموارد المحلّية. وعلى الرغم من محاولات المنظمات الإنسانية الدولية تقديم الدعم لغرف الطوارئ وغيرها من المبادرات المجتمعية، فإنها لم تنجح في تقديم هذا الدعم على نطاق واسع؛ إذ تعمل غرف الطوارئ، شأنها شأن المبادرات المجتمعية، خارج الأطر الرسمية، وتعاني محدودية الموارد وضعف الاعتراف الدولي، ما يعوّق آليات التمويل الخارجي ويزيد من تعقيداته، ويجعل التنسيق مع المنظمات الدولية رمزيًا وغير فعال.

ويواجه العديد من المتطوّعين العاملين في غرف الطوارئ صعوبات في التوفيق بين حاجاتهم الشخصية والتزاماتهم الأسرية من ناحية، ومتطلّبات العمل الطوعي، من ناحية أخرى. وبسبب ذلك، تعمل هذه الغرف تحت ضغوط هائلة، ويعاني أعضاؤها الإرهاق النفسي، خصوصًا في سياق ندرة الموارد البشرية وصعوبة تعبئة متطوعين جدد. ويتفاقم هذا التحدي بالنظر إلى أن معظم المتطوعين يفتقرون إلى خبرة سابقة في العمل الإنساني، بل يعتمدون أساسًا على مهارات وسمات شخصية تلائم العمل في المجال الإنساني، مثل الإيثار والتعاطف والمرونة النفسية والمقدرة على تحمّل ضغط العمل الميداني في ظروف قاسية وغير آمنة.

لا تهدد هذه التحديات استمرارية العمل التطوعي فحسب، بل تلقي الضوء أيضًا على هشاشة منظومة الاستجابة الإنسانية في سياقات تفتقر إلى الحماية والأمان والبنى المؤسسية البديلة. وبناء عليه، تبرز الحاجة إلى الاعتراف بمتطوّعي غرف الطوارئ بوصفهم عمّالَ إغاثة في المجال الإنساني، والعمل على حمايتهم، وتزويدهم بدعم لوجستي ومالي ونفسي، مماثل لما يُقدَّم للعاملين في المنظمات الدولية. ويُعدّ ذلك مسألةً أساسيةً في إظهار التقدير لدورهم الحيوي، ومن ثم تمكينهم من مواصلة جهودهم في الاستجابة للأزمات الإنسانية.

المراجع

العربية

إبراهيم، وائل عبد الله وسالي محمد فريد محمود وعثمان أحمد عثمان. "الاستراتيجية البديلة لتفعيل العمل الخيري للحد من الفقر المتعدد الأبعاد باستخدام التحليل الرباعي: السودان حالة دراسية". **الدراسات الأفريقية**. مج 45، العدد 3 (تموز/ يوليو 2023).

أولسون، سامانثا ك. وميسون دهب وميليسا باركر. "الاعتبارات الرئيسية: دروس وخبرات المساعدة المتبادلة من غرف الاستجابة للطوارئ في السودان". **منصّة العلوم الاجتماعية في العمل الإنساني** (*SSHAP*). 2024. في: https://tinyurl.com/wzmxcmpp

الحاج، خالد عبد الرحمن محمد. "العمل الطوعي في السودان: المفاهيم والممارسات". **الدراسات الأفريقية وحوض النيل**. مج 1، العدد 1 (آذار/ مارس 2018).

حياتي، عمر. "دور آليات التطوّع في إدارة الكوارث في السودان". **دراسات أفريقية**. العدد 38 (كانون الأول/ ديسمبر 2007).

قاسم، عون الشريف. **قاموس اللهجة العامية في السودان**. ط 2. القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1985.

قسوم، محمد. "حماية أفراد المنظمات الدولية والإنسانية: اللجنة الدولية للصليب الأحمر نموذجًا". أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه. كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي التبسي. تبسة. 2022.

الكحلوت، غسان. **العمل الإنساني: الواقع والتحديات**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

_____. "توطين الاستجابة الإنسانية في غزة: ضرورة ميدانية لا خيارًا مؤسّسيًا". **عمران**. مج 14، العددان 54-55 (خريف 2025 - شتاء 2026).

اللجنة الدولية للصليب الأحمر. **الرعاية الصحية في خطر: التغلّب على التحديات**. (جنيف 2015). في: https://tinyurl.com/3hf7t4hf

الهاشمي، عبد الفتاح ووديع العرابيد. "الحيلولة دون انحسار الفضاء الإنساني في السودان". **ورقة تحليلية**، مركز الجزيرة للدراسات. 2023/6/14. في: https://tinyurl.com/ywymrz7b

الأجنبية

Atar, Emrah & Mazen Alhousseiny. "The Evolution of the Syrian Humanitarian NGOs and External Challenges." *The Rest: Journal of Politics and Development*. vol. 11, no. 2 (Summer 2021).

Birch, Izzy, Becky Carter & Hassan-Alattar Satti. "Effective Social Protection in Conflict: Findings from Sudan." Institute of Development Studies. 6/9/2024. at: https://tinyurl.com/yr3kc2y6

Bou, Lama et al. "Health Care Workers in Conflict and Post Conflict Settings: Systematic Mapping of the Evidence." *PLOS One*. 29/5/2020. at: https://tinyurl.com/5h79taez

Devi, Sharmila. "Aid Workers Warn over Sudan Crisis: Time is of the Essence." *The Lancet, World Report*. vol. 404, no. 10449 (July 2024).

El Mahdi, Abdel Rahman, Izzeldien Abdelhamied & Lugain Mahmoud. *Civil Society and Conflict in Sudan: Shifting Roles, Challenges and Priorities*. Stockholm: International Institute for Democracy Electoral Assistance. 2024. at: https://tinyurl.com/43yecmay

Elkahlout, Ghassan, et al. "Localisation of Humanitarian Action in War-torn Countries: The Experience of Local NGOs in Yemen." *International Journal of Disaster Risk Reduction*. vol. 75 (1 June 2022).

Famine Review Committee: Combined Review of: (i) The Famine Early Warning System Network (Fews net) IPC Compatible Analysis for IDP Camps in El Fasher, North Darfur; and (ii) The IPC Sudan Technical Working Group Analysis of Zamzam Camp (North Darfur). The Integrated Food Security Phase Classification (IPC). Sudan 2024. at: https://tinyurl.com/3cum6ake

Food Security Hub. 18th ed. Kazakhstan: Islamic Organisation for Food Security, 2025. at: https://tinyurl.com/42tm2vkz

Gibbons, Pat & Hans-Joachim Heintze (eds.). *The Humanitarian Challenge: 20 Years European Net Work on Humanitarian Action*. New York/ London: Springer, 2015. at: https://acr.ps/hBy2sxQ

Jideofo, Nonso. "Localizing Humanitarian Action." UNHCR Innovation Service. 2020-2021. at: https://tinyurl.com/mvuxvkx4

Khoury, Rana B. & Alexandra A. Siegel. "Civil Organizing in War: Evidence from Syrian Facebook Communities." *Perspectives on Politics* (Cambridge University Press). 26 December 2024. at: https://tinyurl.com/2k6a5f4p

Kirsch, Thomas D., Lauren M. Sauer & Debarati Guha-Sapir. "Analysis of the International and US Response to the Haiti Earthquake: Recommendations for Change." *Disaster Medicine & Public Health Preparedness*. vol. 6, no. 3 (October 2012).

Kirschenbaum, Anita, Caitlin Welsh & Zena Swanson. "Conflict, Hunger, and Famine in Sudan." Center for Strategic & International Studies (CSIS). 11/9/2024. at: https://tinyurl.com/4ypnkyke

Konrad, Renata, Solomiya Sorokotyaha & Daniel Walker. "Humanitarian Response by Grassroots Associations During a Military Conflict." *Journal of Humanitarian Logistics and Supply Chain Management*. vol. 14, no. 2 (2024).

Mishra, Bhupesh Kumar & Keshav Dahal. "Collaborative Framework with Shared Responsibility for Relief Management in Disaster Scenarios." 15/6/2024. at: https://tinyurl.com/y98mndcy

Mohamed, Issam A. W. "Assessment of the Foreign Non-Government Organizations' Role in Sudan." Munich Personal RePEc Archive (MPRA). Paper no. 32296. 22 July 2011. at: https://tinyurl.com/32te9a58

Oslan, Samantha k., Maysoon Dahab & Melissa Parak. "Key Considerations: Mutual Aid Lessons and Experiences from Emergency Response Rooms in Sudan." Social

Science in Humanitarian Action Platform (SSHAP). 28/10/2024. at: https://tinyurl.com/yxpzmcnr

Russbach, Remi & Daniel Fink. "Humanitarian Action in Current Conflict Opportunities and Obstacles." *Medicine & Global Survival*. vol. 1, no. 4 (1994).

Spade, Dean. *Mutual Aid: Building Solidarity During This Crisis (and the Next)*. London: Verso, 2020.

"Sudan Humanitarian Update (1-30 November 2024)." United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA). 4/11/2024. at: https://tinyurl.com/y8stuh4u

"Support for Mutual Aid in Three Central States in Sudan: Game Changing and Saving Lives." *Local to Global Protection*. October 2025. at: https://tinyurl.com/46atpckj

Werner, Kalin, et al. "Emergency Care in Post Conflict Settings: Systematic Literature Review." *BMC Emergency Medicine*. vol. 23, Article no. 37 (April 2023). at: https://tinyurl.com/ysd6ptn8

Zamponi, Lorenzo. "Mutual Aid and Solidarity Politics in Times of Emergency: Direct Social Action and Temporality in Italy During the COVID-19 Pandemic." *Social Movement Studies*. 18/4/2023. at: https://tinyurl.com/mr3udzpj